# عــصــر الـجـســد..!

حيدر قاسم الحجامي*

هل تميتُ الصورة الــذات الحية وتجمدها في إطارها الزمني وبعدها المكاني كموضوع كما يقول الفيلســوف الفرنســي رولان بارت (أن الصــورة تجربة مصغرة للموت، تكمن في تحويــل ذات حيــة إلى موضوع ميت في جمــود أبدي) وإذا كانــت كذلك فماذا تبعث رؤية هذا الميت في المشــاهد عبر اتصاله البصري باللحظة الجديدة؟ هل مجرد المرور عبر هذه الصورة سيحرك شيء ما في داخل حس بشري ليقوم الدماغ بوظيفتــه العضوية فــي خزنها الايقوني فــي داخل العصب تمهيداً لاستعادتها اللاحقة في زمن مقبل.

تظــل الصورة في دلالتها المؤثرة محط جدل قدر ما هي محط تسليم يقيني كونها ترتبط بالحقيقة الأكثر وضوحاً انطلاقاً من اختصارها أزمنة التشــكل الأولى والمخيال الروائي لها عبر تقنيات الســرد المعتادة ودفعها للأســطورة كأسلوب تشكيل بدائــي لتصورات لم يطلع عليها الإنســان بعد، وبذا فان هذا العصر الذي نعيشــه ألان هو عصر الصورة بامتياز كما بشر ابيل غانس.

الصورة التي تلعب دورها الفتاك منذُ إن ظهرت كنتاج حقيقي لظاهرتــي الظل والضوء التي أرقــت العلماء أزمان طويلة، وخرجت من معطف الرســامين الذين أوجدوها على ارض الواقع حيثُ ارتبطفنهم بالصورة وحركتها وتمثلتها وفضاءاتها المليئــة بالتعبير وهذا أغوى شــهيتهم الى إن يفتحوا على الأقل نافذة للتوصل الى اختراع الصورة الفوتوغرافية لتقود الأخرى الى ظهور تمظهر أخر من إشــكالها لتظهر الصورة المتحركة، الى اليوم الذي بات فيه نقل ملايين الصور أســهل من شــرب قدح من الماء كما يقال بفضــل ثورة التكنولوجيا الحديثة والاتصالات التي حولت العالم الى قرية مترابطة.

لكن لكل تقدم وتطور ثمن يجب إن تدفعه البشــرية لان جني الثمار لابد إن ترافقه عملية وخز مســتمرة ، ولذا فان ثورة الاتصالات العارمة رافقتها ثورة أخرى في إطارها الكولنيالي العولمي الذي مافتئ في تســليع كل شيء ليدخله في صراع ســوقه العالمية المحمومة الباحثة عن الربح السريع، حتى غدا الجسد واحدة من أكثر صور العولمة بابعادها الاقتصادية (التجاريــة) وضوحاً كظاهــرة تختزل كينونة هــذه العملية المنفلتة من مقاييس النظم الإنسانية بداعي انسلاخ الإنسانية عن ماضيها وارتباطها بالحداثة والتحرر..!.

لتكون الصورة هي الوســيلة لصناعة جديدة اسمها صناعة الجنس مســتخدمة الجسد كموضوع .لتدخل عمليات صناعة الجنس من أوسع الأبواب بعدما كانت تمر من الأبواب الخلفية مســتمدة شــرعيتها من كونها عمليــة اقتصادية متحررة مرتبطة بقيم العالم الحديث الســاعي وراء فك ارتباطاته التي تعيق حركته الكونية.

نجحت هذه الصناعة من إيجاد مبررات ظهورها العلني رغم عدم الإنكار لوجودها البدائي كشــكل أولي لعمليات التجارة البدائية القائمــة على المقايضة، ولكن مــا يلفت إن تتحول الى صيغ تأخذ طابعها الدولي مع أنها تتصادم مع شــعارات مرفوعة سبقتها بالظهور إلا إن النتيجة كانت كارثية بالنسبة لمن يمكن إن نســميهم أنصار القيم القديمة (دعاة الفضيلة الإنسانية) وتحولت موضوعة تحرير المرأة بهذا الشكل الى عملية ســمجة ومنقوصة في ظل امتهان الجسد وخصوصا الأنثوي وتحويله الى موديل جامد معروض للاستخدام في أي لحظة ولقاء ثمن فــي خروج صريح على مبدأ تحرير المرأة الذي تنادي به تيارات العلمنة والتحديث في مجتمعات الشرق الدينية وهي تواجه ردات فعل عنيفة قد تكون مبررة لانسجام و تماهي تلك الطروحات مع مبدأ رأســمالية العالم وتقويض أسس المختلف في عملية أشبه ما تكون بالخدعة كما يصفها منظرو الحركات الدينية في عالمنا الشرقي.

إن علماء مختصــون في علم الصناعــات الحديثة يؤكدون إن ثمة منفعة متبادلة وعقد ابــرم بين تجار صناعة الجنس من جهة وبين تجار الإعــلام (الميديا) من جهة أخرى حيث قام هــذان الطرفان باســتثمار الحرية الواســعة في الغرب وتحت شــعارات تحرير الإعلام وعــدم خضوعه الى الرقابة الحكومية ،فالأخير اســتغل نفوذهِ وسطوتهِ على المتلقي لبث الصورة الجنســية في اكبر وأضخم عملية ترويجية للجنس يشــهدها العالم عبر وســائل الإعلام المنتشــرة والواسعة ابتدأ من المجلات الإباحية وصــولاً الى المواقع الالكترونية والفضائيات وغيرها من الوســائل، لتنشا مؤسسات بأموال هائلة تعتمد هذه الصناعة وتروجها عبر وسائل الإعلام حيث قدرت دراســة إن هناك مليارات الــدولارات تمثل رأس مال لهــذه الصناعة في الولايات المتحدة وحدها، وان هناك آلاف الإعداد من المجلات الإباحية توزع هناك وتصدر الى مناطق أخرى من العالم، فضلاً عن الكتب وملايين الأشرطة الفديوية الموزعــة في إنحاء العالم وتقول إحدى دور نشــر للمجلات الإباحية أنها تتبنى إصدار 60 مجلة شهرياً تجني من ورائها أكثر من مليون دولار في المتوسط.

إن تحول الجنس الى قيمة اقتصادية ليس جديداً كما أســلفت إلا إن خروجه من نطاق الفردية والسرية الى نطاق المؤسسة والعلنية هو التســاؤل حول مدى التناقــض القائم بين النظم والمعاييــر الأخلاقية الملتزم بها وبين انفتاح التجارة وحرية الإعلام الذي بدا شــعاراً براقاً في المظهــر إلا انه يخفي في جوهره صورة معكوســة هدفها تحقيــق اكبر قدر ممكن من المــال عبر أبشــع وأحط صناعة عرفها التاريخ الإنســاني (صناعة الجنس).تقتحم هذه الصناعة كل الأســوار وتجتاز كل المحددات لأنها لا تشعر بان أي حاجة قائمة سوى الحاجة الى المال، مســتمدة نظريتها التاريخية عبــر مقولة الغاية تبرر الوســيلة، فمن المجلات والكتب الإباحية الى الســينما التــي تحولت الى واحدة مــن أهم الصناعــات العالمية وبأســواقها ومؤسساتها، ولتكون هذه الصورة الجنسية حاضرة بقوة في المشــهد الســينمائي إن لــم يكنُ قائماً على هــذه الموضوعة بكل إبعاده، وهذا ما يشــير إليه باحث مختص في مجال الســينما الــى وجود أطنان من اللقطات السينمائية الجنســية التي تقحم في جسد الفيلم الســينمائي دون إن يكــون لها رابط مباشــر مع إحداث الفيلم أو مجرياته الموضوعية، وتبرر شــركات الإنتاج الســينمائي هذا الإقحام بدعوى إضافة المزيد من المتعة لدى المتلقي، إلا إن تبريرها هذا وبحسب الباحث لا يرقى لان يكون سبباً في تجاوز الوحدة الموضوعية للفيلم.

إلا انــه يعزوها الى محاولة لجذب المراهقين لمشــاهدة هــذه الأفلام واقتنائها لتضمن الشــركات المنتجة إرباحا وايردات عالية حتى وان كانت على حساب القيمة الفنية أو الأخلاقية.

وإذا كانت الســينما العالمية قد بدأت بمغادرة هذه العقلية تصر الســينما العربية وخصوصاً المصرية على اعتماد هذا الأسلوب الكلاسيكي في أفلام باتت تصنف في مراتب متدنية للغايــة، الأمر الذي دفع مختصون في الســينما المصريــة الى إطــلاق حملة من اجل "ســينما نظيفة" خصوصاً بعدما أصبح الفيلم الســينمائي المصري يعاني من جــراء ظاهرة غياب الموضوع الــذي يناقش قضايا معينة أو يحاول إن يوصل رســالة ذات مغزى سياسي أو اجتماعي أو ثقافــي، فالأفلام المنتجة تعاني من افتقارها الشــديد للموضوع أو وقوعها في فخ التكرار والاجترار ثم تأتي المشاهد الجنســية لترهق كاهل هذه الأفلام مما يجعل المشــاهد في حيرة من أمره وهو يسال عند انتهاء العرض، هل حقاً يمكن إن نســمي هذا فيلماً سينمائياً أو فيلم بورنو!!!

إن هذا الســلخ المتعمد الذي بدأ مع ظهور أولى تشــكلا ته في ولادة الســينما في الوطن العربي يؤشر خللاً في المرجعيــة الفكرية العربية عموماً، فهي ظلت تبحث عن مرجعيتهــا، متقلبة ما بين رغبة محمومة في اللحاق بما تنتجه مدن الإنتاج العالمية وبين التمرد على قيم مجتمع محافظ يعيش في دوامة الحذر المســتمر تجاه القادم من الغرب وبعقدة تاريخية خانقة.

إن دخول الصناعة الجنســية في مفاصل الحياة المختلفة يؤشر الى إن ثمة مغادرة أو قطيعة وقعت في المؤسسات الرأســمالية العالميــة وبين النظم الأخلاقيــة التي تحكم المجتمعات الإنســانية وإلا بماذا يفســر هذه العودة إلى تجارة الرقيق الأبيض واستعباد المرأة وجعلها سلعة في سوق البورصات المتضاربة، سوى تلك الرغبة الجامحة لتحقيق الســيطرة على الثروات لان ثمــة من يعتقد إن المال هــو الإمبراطورية الأقدر التــي يمكنها حكم هذا العالم والسيطرة عليه.

إن هــذه الحقيقــة لا ينبغــي إن تظل غائبــة عن أعين المفكرين والعلماء والمثقفين العرب فان التماهي الأعمى مع كل ما يطرح في الغرب هو مثله تماماً ما يفعلهُ البعض حينما يصم إذنيه ويغمض عينيهَ عن انجازات هذا الغرب العلمية العظيمة، فكلا الحالتين خاطئة، أليس كذلك؟.

# كــم مــوجــع ألا تكوني أنا

آمال عوّاد رضوان

أنوثةً طاغيةً
راقصتك على هفيف قبلةٍ
وفي رحاب جنّتك المترفة باعتكافك الأثيريّ
غزلت ملامح أصدائك بحرائر الغواية
أيا ساحرة أشجاني
كيف تلاشيت.. قبل أن تندهني ملائكة الرّوح؟
كم دارت بي السّماء
أيا ليل حلمي المنسيّ
وفي عربةٍ من نار
علت بك طاقات عمري نجوم دوار.
كيف
ت ح ط ي ن
بي على شفة أكذوبة؟
آهٍ كم موجعٌ ألاّ تكوني أنا!
أيّتها الميلاد المضيء بجنوني
أفعميني بمجامر جمالك
كي لا أؤول إلى رماد.
ها تصوّفي في أشدّه
يورق سمائي ببتلات نكهتك
وأنا.. أثمل تمامًا حين تزقزقين!
رأفةً بي
أيقظيني من حلم تغطين في شهده
لـ أ نَّ س ج
من توهّج عينيك العسليّتين
شمـووووووسًا
يااااااانعة بك
أو أقمارًا
تغسل العتمة عن رمش حلم بحجم دمعة!
لا تتركيني أعاني خَوائي
منذ فقدت عمامة ولائك
ما تنعّمت بيعتي باخضرارك الخالد
وما فتئت أستسقي دموع سماواتك البكر
وفي قطرةٍ تتندّر بهطولك
يصدح صمتي العارم بك:
حصارك تلويحة هديلي
كانت قطوفه أحضان ليلك
وما انفكّت تذكيه ذاكرتي الزّاهية
بأهازيج اللّيلك.
أنّى تفسحين لي الهروب إليك
أو الغرق
في ضوئك العصيّ على كلّ غياب؟
أنت من ارتشفتك فناجين سهدي
ما أسكرني.. إلاّ رشفك
وما ارتوى بوار سجائري
إلاّ بعزفك المعتّق بأفواه شياطيني!
مذ بذرت أنفاسك
بعيدًا
عن خضرة اشتعالاتي
غدوت غبش آياتٍ تتقن البكاء
تجنّيت عليّ في ارتدادي
فما أنباني أنّي أعود من وجلي
وما عدت بعدك إلـهًا.
أتراك
تصدقين في نسجي غفلةً تؤوبني
لـ ت ح ي ك ي ني
وهمًا؟
كم غفرت لي زلاّت اهتزازي
وإلى عمق أنفاسك
كنت تعلينني من سقطتي
رحماك
أخضعيني لتجربتك فأطهر من كلّ ربقة!
فجّري ماضيًا كنته عجوزك المستعار
راعي انتظاراتك المؤجّلة بفوّهة مغارتي الخضراء
أحرس بمشاعلي عرائش كرومك
حين تتسلّقني دوالي قلبك البرّيّة
وتتعربشني ذكراك المقدّسة!
أنا المحصرم بهواك
من تعذّر التقاطه الفجّ
لم وجدتني مكدّسًاعلى رفوف نضوجك؟
أفسحي لي أبواب جنّاتك
افرطي قطوف أساريري
على أطباق براءتك
وبعشوائيّةٍ لذيذةٍ نصّيني
أبّديني دهشة صمتٍ
تعبرني كالرّيح فوق وشوشةً فصولي.
بأحضان سحابةٍ متنكّرةٍ
خصّبيني
بخفقة ومضك
لأترائذ "آمالاً" تتلألأ بك!
منذك
وجلباب بردٍ ينعفني
يندفني ثلوجًا ملحيّةً اغبرّت بالأسى
دون بريق حبورك.
يا رجفة انكساري
أنا من لذت من بردٍ مزمنٍ بدفء شرودك
كم تبخترت شعرًا في ملاجئ قلبٍ اتّسع لي
أغدقي عليّ بصهيل ظلّك
علّه يعوّضني كلّ مفقوداتي
حينما أمتطي صهوة حنيني.

## قصة قصيرة

# إعــدام كــاتب

فؤاد وجاني

جلس أمام شاشــة الحاسوب المســطحة ولوحة المفاتيح المزينة بحروف عربية يرقب يديه الأنيقتين وقد شــغفتهما رعشة الكتابة. يالها من لحظة! أحس أنه يتنفس ويحيا كما يجب أن يحيا الإنســان. يالها من لحظة ! لن يستبدلها بأي شــيء في الدنيا. إنها متعة قصوى لاتجاريها متعة وذروة لايبلغها فراش النشوة. سيكتب لكنه لايعلم عماذا سيكتب، المهم والأهم أنه سيكتب شيئا ما عن شيء ما،

وســيحلق في السماوات السبع ولن يعرج منها حتى تسود صفحــات كاملة برحلــة ذهنية تحمل الجســد إلى غيابات الروح. لقد قرر أن يشــعر شعرا ماردا متمردا عن القوافي يعبر فيه عن حب فتاة ضائع وســط كراسي حافلة ضائعة. تحسر، شهق، انقبض صدره على إيقاع إيحاءات الماضي المراهق، أكان حبا حقا أم هباء خيالا؟

ذهبت الفتاة لحال ســبيلها ورجــع قدما نحو المجهول بعد أن تحاورت عيناهما بلغــة ملك الصمت المغتال لكل علاقة عشق لم ترزق الولادة... لا، لا، الحال ليس بأحوج إلى شعر رومانتيقــي يحن لأطلال هوى طريق عابــر في النفس قد اســتقر، بل الكاتب ابن عصره ومجتمعه وجزء من التأريخ الشــعبي والأموي والوطني، فكيف له أن يتغنى بحبيبة لم ترها عينه سوى سويعات يسيرة والعراق التي لاتكسر عينها تتمزق أشــلاء وغزة الغانية بروحها تئن عذابا وأفغانستان المستئنسة برجالها صبغت دماء. لا، لا،

ســيعود طفلا، وسيلقي كل شــيء وراءه ويلعب، ولن يعبأ، وســيخلق أبطاله، ويصقل لهم سيوفا، وســيبني لهم بيوتا، ويشيد جدرانا وأسقفا، وسيصطنع مشاكل ومتاهات وحماقات، ثم يسميها رواية. لا، لا،

ســيرغم ذهنه علــى الجري وراء أنامله نقــرة نقرة، وبعد صفحتيــن أو ثلاث أو واحدة ســيلقبها قصــة قصيرة. لا،لا، ســيوقد نارا، وســيقلد الأشــباح بظله على ضــوء اللهب، وســيرهب ويبهر طالبي دفء القصص والأحاديث، ثم يسدل ستارة المســرحية بعد خمود الفئيد ويشدها بخيوط الشمس. لا، لا، لا يهم إن كانت مقالة أو قصيدة أو رواية أو مسرحية، المهم والأهم هو الكتابة ذاتها ... فلتكن ماشاءت الأنامل.

هاهــو ذا يحضر بخــورا من موســيقى كلاســيكية هادئة، ويكحلها بقهوة سوداء لعيون طقوس الكتابة... علها... علها تذرف عليه حروفا تغنيه بصوتهــا، وتمتع ناظريه برقصها فوق السطور... أو ليست الكتابة عبادة؟ هاهو ذا يفك أشرعة الســفينة، ويركب يم الخيال ليبحر بعيدا... بعيدا حسب هوى الريح... إنها السعادة وإنه ملاحها.

من غرفة النوم، جذبه من إســرائه في السماء الثامنة صوت أنثى مشبع بالشبق الشرقي:

"يأبــا مســعود، حان موعــد النوم... تعــال للفراش ياعيني!"

تذكر أن له زوجة، فهوت روحه، وتحطمت حروفه من الألف إلى الياء، كتم غيظه في نفسه:

"أبو الزفت ! اللعنة على اليوم الذي فكرت أن أتزوجك فيه!".